



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
مدارج السالكين
الاتصال بالله عز وجل
جوهر الدين



لا أدري من أين أبدأ ؟

إذا قلت لكم: إنَّ الدين كله من أجل أن تتصل بالله عزَّ وجل، لا أكون قد ابتعدتُ عن الحقيقة

إذا قلتُ لك: إنَّ العباداتِ كلها من أجل أن تتصلَ بالله عزَّ وجل، لا أبتعد عن الحقيقة.

إذا قلتُ لك: إنَّ تسخير السموات والأرض لهذا الإنسان، من أجل أن يعرف الله عزَّ وجل، ويتصل به، فيسعدَ بهذا الاتصال،

لا أكون قد بالغت...

بل إنَّ الاتصال هو غاية الغايات، بل هو حال أهل الجنة، إنَّ كلَّ ما شرعه الله عزَّ وجل من عباداتٍ، ومن معاملاتٍ،

ومن تنظيماتٍ، من أجل أن تتفرغ لمعرفة الله، وللاتصال به

رمضان من أجل أن تتصل به، الحج من أجل أن تتصل به، الزكاة من أجل أن تتصل به، الصلاة من أجل أن تتصل به.

إن قلتُ لكم: إنَّ الاتصالَ بالله عزَّ وجل غاية الغايات، فهذه حقيقةٌ لا ريبَ فيها، بل الله سبحانه وتعالى أمرنا أن نكونَ

ربانيين.

فالرباني: هو الإنسان الذي يسعى لحسنِ علاقةٍ بالله عزَّ وجل، لحسنِ اتصالٍ به.

لأنَّ في الكون حقيقةً واحدة، هذا الكون بمجراته، بنجومه، بمذنباته، بكواكبه السيّارة، بكواكبه، بأرضه، ببحاره، بأسمائه،

بأطيّاره، بنباتاته، هذا الكون كله مُستمدٌ وجوده من الله عزَّ وجل:

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ سورة البقرة الآية: 255

في الكون حقيقةً واحدة وهي الله، لذلك:

أيُّ سلوكٍ، أيُّ فكرٍ، أيُّ اطلاعٍ، أيُّ تعلمٍ يُقرِّبك من هذه الحقيقة فهو مشروع، وأيُّ شيءٍ يُبعدك عن هذه الحقيقة فهو

مُحرّم.

ليس في الكون إلا الله، الحقيقة الأولى والأخيرة، هو الظاهر والباطن، هو الأول والآخر.

الاتصال هو الدين... الاتصال هو سرُّ وجودك في الأرض.

الله سبحانه وتعالى خلقنا ليرحمنا، ورحمته بأن نتصل به.

إنك إن اتصلت بمخلوقٍ على شيءٍ من الميزات تسمو.

إنك إن اتصلت اتصالاً بصرياً بمنظرٍ جميل تسعد.

إنك إن اتصلت اتصالاً سمعياً بنغمٍ جميل تطرب.

إنك إن اتصلت بحقيقةٍ علميةٍ تستمتع.

فكيف إذا اتصلت بالحقيقة الأولى والأخيرة، بسر القوة في الكون، بسر الحكمة، بسر الرحمة، بسر الغنى، بسر القدرة؟. الكون خلق من أجل أن تعرفه، وما معرفة الله عز وجل إلا وسيلة لغاية، الغاية أن تسعد بهذه المعرفة، أن تسعد بهذا القرب. منزلة الاتصال منزلة لها طعم خاص، لأنها سر الدين، لأنها جوهر الدين، لأنها هي الدين، لأنها سر وجودك في الأرض. خلقت لك ما في الكون من أجلك فلا تتعب، وخلقتك من أجلي فلا تلعب، فبحقي عليك لا تتشاغل بما ضمنت لك عما افترضه عليك.

لو شاهدت عينك من حسنا الذي رأوه أما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرة عذرت الذي أضحي قتيلاً بحبنا
ولو نسمت من قربنا لك نسمة لمت غريباً واشتياقاً لقربنا
فما حُبنا سهل وكل من ادعى سهولته قلنا له: قد جهلتنا

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ "سورة طه الآية: 14"

﴿كَلَّا لَا تَطْعُهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ "سورة العلق الآية: 19"

﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾

"سورة العنكبوت الآية: 45"

أنا في حيرة بالغة، هذا موضوع المواضيع، هذا هو الدين كله، أن تكون لك صلة بالله حسنة، لذلك كلما ارتقى إيمانك، امتلكت ما يسمى بميزان دقيق، لو أنك تكلمت كلمة فيها استعلاء، لشعرت بالبعد عن الله عز وجل، لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، الكامل لا يقرب إلا الكامل، أنت على مستوى من الإيمان، لا تستطيع أن تجالس إنساناً بذيء اللسان، لا يمكن أن تجلس معه، أنت على مستوى من إيمان، لا يمكن أن تجالس إنساناً خائناً، إنساناً فأحشاً. الله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الوحيدة في الكون، وكل الكون يستمد وجوده من الله عز وجل، يستمد خصائصه، صفاته من الله، ليس في الكون إلا الله، هذا هو التوحيد، وما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

في الكون حقيقتان:

1- الله عز وجل هو كل شيء. 2- والاتصال به كل شيء.

فأول فكرة: الله هو الحقيقة الأولى والأخيرة الوحيدة، والاتصال به هو جوهر الدين.

نحن صائمون من أجل أن نتصل به، نصلي من أجل أن نتصل به، نحج البيت الحرام، ندفع عشرات الألوف، ندع أولادنا وأهلنا وأعمالنا، ونذهب إلى بلاد حارة، حيث الازدحام، من أجل أن نشعر أننا فعلنا شيئاً من أجله، حتى نُقبل عليه، حتى نتصل به، حتى نسعد بهذا الاتصال، هذا مقام الاتصال بالله عز وجل.

أن المؤمن بعد حين من إيمانه، بعد فترة يملك ميزاناً دقيقاً، أي عمل يقربه من الله يفعله، وأي عمل يبعده عنه يدعه، وميزانه نفسه، القصة التي إذا حدثت الناس بها شعرت بانقباض، وشعرت بحجاب بينك وبين الله، هذه معصية معناها، كلما شقت نفسك أصبحت نفسك ميزاناً، وكلما بعد الإنسان عن الله عز وجل، أصبح ميزانه غير دقيق، لذلك المؤمن ذنبه كجبل جائم على صدره، بينما الكافر ذنبه كالذباب.

الاتصال أنواع:

اتصال اعتصام، واتصال شهود، واتصال وجود.

1- الاعتصام:

أول أنواع الاتصال أن تعتصم بالله، أن تجتهد في أن تطبق أمره بحذافيره، أن تكون ورعاً، قال تعالى:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ “سورة آل عمران الآية: 103”

أحياناً: إنسان يتفضل على إنسان بعبء كبير جداً، فهذا المعطى يتقصد أن يرضي المعطي بكل أسلوب، بأية طريقة، بأي موقف، فإن كان يعلم أنّ هذه الرائحة يحبها عطره بها، إن كان يعلم هذا الكتاب يحبه قدمه له، همه الأول والأخير أن يتقرب من هذا المحسن، لذلك المؤمن يصبح في النهاية همه الأول: أن يتقرب من خالقه؛ بالاستقامة، بالأعمال الصالحة، بخدمة الخلق، بالصبر، بالتحمل، بمجاهدة النفس والهوى.

إذا مرت امرأة في الطريق، فإذا ألقى عليها نظرة، شعر بالبعد عن الله عز وجل، لأنّ هناك نهي، فإذا غضّ بصره عنها شعر بالقرب، إذا رأى مسكيناً فرق له شعر بالقرب، إذا رأى سائلاً صادقاً فأعطاه شعر بالقرب، إذا رأى إنساناً أساء إليه، وبإمكانه أن يعفو عنه، في عفوه عنه يقربه منه، يعفو عنه، الإنسان المؤمن في سبيل الله عز وجل يضع نفسه تحت قدميه لا ضعفاً ولكن تواضعاً، قال: هذا اتصال الاعتصام.

2- الشهود: أن تنتقل من مرتبة الإسلام إلى مرتبة الإيمان.

الإيمان معه ذوق، معه رؤيا، الإسلام معه تطبيق، لو أنه طبق أمر الله عز وجل تطبيقاً دقيقاً فهو مسلم، فهو معتصم بحبل الله، معتصم بأمر الله، أما إذا بعد اعتصامه بأمره أقبل عليه، صار اتصاله اتصال شهود، كان اتصال اعتصام صار اعتصام شهود.

قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةً أُنَبِّئُكُمْ إِنِّي رَسُولٌ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾... “سورة الحج الآية: 78”

الإنسان يفتخر بعلاقته بفلان، يراه مكسباً كبيراً، وأحياناً إنسان يستحي من علاقته بفلان، ربنا عز وجل يقول: ﴿واعصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير﴾

﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾... “سورة آل عمران الآية: 101”

أنت في أكمل حالاتك حينما تعتصم بالله عز وجل... ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾... “سورة النساء الآية: 146”
تابوا، وأصلحوا، واعتصموا، تمسكوا بالاستقامة، لذلك الاستقامة عين الكرامة:

﴿فَاسْتَقِيمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾... “سورة هود الآية: 112”

أنت تطلب من الله الكرامة، وهو يطلب منك الاستقامة.

الاعتصام نوعان ؛ اعتصام توكل، أنت متوكل عليه اتكالاً حقيقياً، مستعين به، مفوضٌ له، ملتجئٌ إليه، مستعيدٌ به، مُسلمٌ إليه، مستسلمٌ لأمره، هذا نوع.

النوع الآخر: الاعتصام بالوحي؛ أي الاعتصام بالقرآن بأمره ونهيه، إما اعتصام علمي، أو اعتصام نفسي، إن اعتصمت بقرآنه وسُنَّة نبيه، فأنت متصلٌ بالله اتصالاً اعتصام وحي، أما إذا اتكلت عليه، وفوضت إليه، وسلّمت إليه، وأطعته، وأرحت قلبك من هم الدنيا، واخترتة على من سواه، هذا اعتصام من نوع آخر.

من معاني أن تعتصم بالله بكتابه أو بوحيه: أن تُحكّم القرآن دونَ آراءِ الرجال، فُلان له رأي، النظرية الفلانية، آراء الناس، ومقاييسهم، ومعقولاتهم، وأذواقهم، وكشوفاتهم، ومواجيدهم، ليست بشيء أمام مواجيد القرآن، وأذواق القرآن، وقيم القرآن، وما في القرآن، علامة اعتصامك بالله.

الاعتصام نوعان؛ اعتصام بكتابه اعتصام علمي، اعتصام استسلام وتفويض وتوكل اعتصام نفسي، فيجب أن تستسلم نفسك لله عزّ وجل، وأن يستسلم عقلك له، بمعنى أن خالق الكون، هذا كلامه، هو الحق، هو الصدق، هو المُحكّم، هو الدقيق، هو الواقع، هو المصادقية.

يتبع إن شاء الله تعالى

والله موفق وهو الهادي إلى سواء السبيل

ونسأله سبحانه التوفيق والسداد للذود عن دعوتنا وامتنا كما ندعوه عز وجل الصبر والثبات على الطريق